دور مهنة الخدمة الاجتماعية في مواجهة العوامل المسببة للمشكلات الأسرية

د أبوعجيلة المبروك المدنيني ـ كلية الآداب ـ جامعة طرابلس

مقدمة البحث :

تعد الأسرة أول تنظيم اجتماعي طبيعي وجد منذ بدء الخليقة حيث عاش الإنسان في كنفه ، وجُعلت الأسرة لحماية النوع الإنساني ، واستمرار السلالة البشرية ، فالأسرة نظام كان وسيظل من أهم الأنظمة لما تلعبه الأسرة من دور مهم وبارز في حياة الأفراد مهما تغيرت أشكالها ووظائفها وطبيعة العلاقات بين أعضائها ، فهى مؤسسة اجتماعية مهمة وخلية التضامن الأولى في المجتمع ، وحلقة وصل بين الأنظمة الاجتماعية الأخرى بالمجتمع ، فهى تلعب دوراً مهماً يظهر من خلال تقديمها للمجتمع أهم عنصر في العملية الإنتاجية ألا وهو الإنسان ، كما يشترك نظام الأسرة ويتداخل مع أنظمة المجتمع الأخرى في عملية البناء والإنماء ، مما يتطلب أن يكون لنظام الأسرة أساس قوي ، ومقومات رئيسية تساعده على أداء وظائفه الاجتماعية على أكمل وجه، ولكي يتأتى ذلك يتطلب تقديم الرعاية الاجتماعية للأسرة بما يُعينها على أداء وظائفها التي قد تعجز الأسرة أحياناً في أدائها نتيجة للتحديات والعقبات التي تواجهها بسبب تنوع الأفكار والفلسفات والأيدلوجيات المتنوعة التي حاولت تخطي دور الأسرة في التعبير عن حاجات الإنسان ، وماكرسه الإعلام من ثقافات وأخلاقيات مخالفة للثقافة المحلية ومتنافية مع القيم والعادات والتقاليد تؤدي إلى ظهور أنماط وسلوكيات جديدة تؤثر سلباً على الجوانب الاجتماعية والثقافية بها تحدث تفككاً أسرياً وخللاً في أداء وظائفها ([1])، فهاهي مهنة الخدمة الاجتماعية تضع الأسرة ضمن أولويات اهتماماتها ، إذ تتدخل المهنة لمواجهة تلك التحديات والعقبات وما يترتب عنها من مشكلات ينعكس عن أداء الأسرة وفق أهدافها العلاجية والوقائية والأنماية ، بغرض مساندة الأسرة حتى تسهم في بناء المجتمع ، منطلقة من أن الأسرة محور أساسي يرتكز عليه بناء المجتمع مرت بمراحل في تطورها أوضحتها الدساتير الوطنية والتشريعات الاقتصادية والاجتماعية ولعل الخطط التي توضع لدليل على هذا التطور ليكفل لها سبل التطور السليم والتعديلات في مسألة الزواج وتكوين الأسرة ، فجاء الدين الإسلامي ووضع ضوابط للأسرة والزواج والحقوق والواجبات التي كانت منتهكة في حق المرأة والرق في الجاهلية ، وانطلاقا من فلسفة الخدمة الاجتماعية المنطلقة من الإيمان بكرامة الإنسان وحقه في التعبير عن نفسه ، والإيمان بتنمية القدرات وبأهمية المساعدة وبالتخطيط كأسلوب علمي لمواجهة مشكلات الأسرة ووضع مقترحات حلول تساعد الأسرة على أداء دورها بالصورة الصحيحة ، ومن كون الأسرة نسقا رئيسا يمثل مصدر الأخلاق والدعامة الأساسية لضبط السلوك ، فقد جاء هذا البحث ليبين العوامل المسببة للمشكلات التي تعيق الأسرة في أداء دورها ، ولإبراز إسهامات مهنة الخدمة الاجتماعية بالمجال الأسري .

مشكلة البحث وتساؤلاته : - انطلق موضوع البحث من أهمية الوقوف على وظائف الأسرة تجاه بناء المجتمع ونموه ، وعلاقة ذلك بنظم المجتمع المختلفة (تلك العلاقات المتشابكة والمتداخلة) ، والتعرف على العوامل المؤدية للمشكلات التي تعيق أداء الأسرة لوظائفها بشكل صحيح نحو الفرد والمجتمع ، سواء كانت تلك العوامل ذاتية أو بيئية ، وأيضاً من أهمية وضع مقترحات تسهم في مواجهة العوامل المسببة للمشكلات التي تواجه الأسرة عند تأدية دورها المناط بها ، وخاصة في ظل التغيرات المعاصرة ، وإبراز علاقة مهنة الخدمة الاجتماعية بالمجال الأسري، محدداً **موضوع البحث** في التساؤل الرئيس التالي ، ما دور مهنة الخدمة الاجتماعية في مواجهة العوامل المسببة للمشكلات الأسرية ؟

تساؤلات البحث : يتفرع عن التساؤل الرئيس للبحث التساؤلات الفرعية التالية :

- ماهي وظائف الأسرة ؟
- ماهي العوامل المسببة للمشكلات الأسرية التي تعيق أداء وظائفها تجاه الفرد والمجتمع؟
- ما هو دور مهنة الخدمة الاجتماعية بالمجال الأسري ؟

ومن أهمية دراسة الموضوع مايلي :

- تعمل مثل هذه البحوث على توضيح وظائف الأسرة .
- تساعد مثل هذه البحوث في إمكانية التعرف على العوامل المسببة للمشكلات الأسرية .
- تبيان دور الخدمة الاجتماعية في المجال الأسري .

ولها مجموعة أهداف : تنطلق من هدف عام يتعلق بأهداف مهنة الخدمة الاجتماعية بالمجال الأسري وما يتفرع عنه من أهداف يمكن حصرها في :

- التعرف على وظائف الأسرة .
- الوقوف على العوامل المسببة للمشكلات الأسرية .
- إبراز دور مهنة الخدمة الاجتماعية بالمجال الأسري .

منهجية البحث : استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي وهو ما يتناسب وموضوع البحث .

مصطلحات البحث :

أ- الأسرة : من خلال اطّلاع الباحث على عدد من التعريفات الخاصة بمفهوم الأسرة ، وقع اختياره على التعريف التالي كتعريف إجرائي باعتباره تعريفاً يتميز بنوع من الشمولية ، وينطبق على

الأسرة الزواجية والنووية والممتدة ، والتعريف هو (مجموعة أفراد يربطهم رباط الزواج ، الدم ، أو التبني ويسكنون في منزل واحد ، ويتفاعلون ويتصلون ببعضهم البعض من خلال أدوارهم الاجتماعية كزوج وزوجة ، أب ، وأم ، ابن وابنة ، أخ وأخت ، ويبنون ، ويحافظون على ثقافة عامة بينهم) ([2])

ب- الخدمة الاجتماعية الأسرية : هي نوع من الخدمة التي تعمل على مساعدة الأسر في التعرف على العوامل المسببة للمشكلات الأسرية وسبل التغلب عليها ، وتحقيق علاقات اجتماعية سوية بين أعضاء الأسرة وبين الأسرة والمؤسسات والهيئات الحكومية والأهلية بمختلف المستويات المحلية والإقليمية والقومية بما يمكنها من أداء دورها على أكمل وجه .

ج- الأخصائي الاجتماعي : هو شخص تخرج من معاهد أو كليات وأقسام الخدمة الاجتماعية بعد مضي عدد من السنوات تلقى خلالها إعداداً نظرياً وعملياً على يد أساتذة متخصصين أكسبه مهارات تجعله إنساناً قادراً على مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات قي التعرف على مشكلات الأسرة والعوامل المسببة لها، وإشراكهم في تحديد سبل مواجهتها ، وتحقيق الحياة الكريمة لهم .

د- المشكلات الأسرية : هى اضطراب أو قصور في الأداء الاجتماعي يؤثر على تفاعل الأفراد داخل الأسرة ، وينعكس على أدائها ، نتيجة عوامل ذاتية وبيئية .

ومن خلال تساؤلات البحث وأهدافه يمكن تقسيم البحث إلى **المحورين التاليين** :

المحور الأول ـ الأسرة مقوماتها ووظائفها ومشكلاتها :

انطلاقاً من تعريفات الأسرة التي تم الاطلاع عليها يلحظ أن معظمها تؤكد على أن الأسرة من المؤسسات الاجتماعية ظهرت نتيجة للزواج مابشرة ، وهناك من يربطه بإنجاب الأطفال ، وهناك من حدده بوحدة الزوج والزوجة بالأطفال أو بدونهم ، ولعل ذلك نستخلص منه أن أهم الأسس التي تُبنى عليها الأسرة هى الوظائف الجنسية والأبوية .

وتأسيساً على ذلك فإن الأسرة (تقوم على **دعامتين أساسيتين :** الدعامة الأولى هي حاجة الإنسان وميله لأن يعيش في جماعة ولا يعيش بمفرده ؛ لأن ضمان حياته واستمرارها أمر جمعي وليس فردياً ، والدعامة الثانية مرجعها إلى النوع الآدمي الإنساني كله باعتباره من أصل واحد الأمر الذي جعل خصائصه العضوية البيولوجية متقاربة ومشتركة ، والأسرة لا تقتصر على عدد الأفراد ، أو نوع الوظائف التي تؤديها ، فالأسرة قد تمتد لتشمل أعداداً أكثر من مجرد الزوج والزوجة والأطفال ، وقد تضيق لتقتصر على الزوج والزوجة) ([3]) .

وإن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع الإنساني ، عرفها المجتمع الإنساني منذ فجر التاريخ كمؤسسة اجتماعية تختلف نظمها باختلاف الأمم والثقافات في التركيبة من حيث البناء ، فقد شملت جميع أفراد العائلة والعشيرة ثم بدأت تضيق حتى أضحت تقتصر على الزوج والزوجة والأطفال الصغار فقط تسمى اليوم بالأسرة النووية مرد ذلك للتقدم الصناعي الذي ساعد في تطور الأسرة ، بيّنه عدد من الدراسات الإنسانية ، والاجتماعية المتأثرة بالأفكار التطورية الداروينية التي هيمنت على معظم جوانب الاهتمام بالأسرة " أصلها ، أشكالها ، مراحل تطورها " وفي أصل النسب إلى الأب أو الأم ، وتتبع نظام الزواج الذي عرفته البشرية ابتداءً من الزواج الأحادي إلى تعدد الزوجات أو الأزواج ، فقد تركزت دراسات علماء القرن التاسع عشر وخاصة التطوريين الاجتماعيين نذكر منهم **هنري مرجان** الذي افترض مالايقل عن خمس عشرة مرحلة لتطور الزواج والعائلة تبدأ بالإباحية الجنسية ، وتنهي بالزواج الداخلي ([4])، أما حول النسب فتنوعت الآراء حول موضوع نسب الأولاد للأب أو للأم إلى أن ظهر النسب للأب الذي هو الأصل حسب قول ماكلينان وهنري مين ([5]).

والمتتبع لتاريخ الأسرة يلاحظ أن تطور الأسرة عبر التاريخ الإنساني الطويل لم يكن في مستوى تطور قطاعات أخرى من الثقافة الإنسانية ، بمعنى لم يخضع تطور الأسرة لتطورات معقدة طويلة الحلقات كتلك التي حدثت في تطور الجوانب المادية في الثقافة ، ولكن هذا لايعني أن نظام الأسرة كان ساكناً لا يتغير فقد حدث عليها تغيرات كثيرة قي الحجم والوظيفة ([6]) فنتيجة للثورة الصناعية ظهرعلى الأسرة ما يعرف بالمرحلة الاستقلالية فيها يستقل الزوجان بسبب خروج المرأة للعمل وانشغال الرجل بأعماله ونشاطاته ، وما نتج عن انشغالهما جعل البيت كالفندق إلا للنوم ، وأما الطعام يعد خارج البيت ، وكذلك غسل الملابس (حتى وأن كان هذا يختلف من مجتمع إلى آخر) الأمر الذي أضعف سلطة أي فيهما على الآخر .

والأسرة الليبية لا تختلف عن بقية الأسر في المجتمعات الإنسانية الأخرى في تطورها " فهى وحدة اجتماعية تطورت عبر الزمن من وحدة اجتماعية كبيرة تسمى العائلة إلى وحدة اجتماعية صغيرة تسمى الأسرة " ([7]) أي تنقسم إلى نوعين : صغيرة ، وممتدة يصعب وضع حدود بينهما فقد تأخذ الأسرة الليبية طابع الأسرة الصغيرة المثقلة ، مكانياً وسكنياً ، ولكنها قد تأخذ في الوقت نفسه ، طابع العائلة الممتدة اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً ، أي أنهما متداخلتان ويغلب عليها الأسرة الممتدة المتلاحمة ويظهر ذلك في مواسات الأقارب لبعضهم عند حدوث كارثة لأحد أعضائها حتى وإن كان يسكن بعيداً عنها بسبب العمل ، بهذا يذكر د **الوحيشي بيري** حول تقسيمه للأسرة الليبية إلى نوعين فقط ([8])" حيث خالف **الدكتور الحوات** الراي الذي قسم الأسرة الليبية إلى ثلاثة هي الرعوية ، الزراعية ، الحضرية ، وبرر ذلك بانتهاء البداوة نتيجة للتغير الاجتماعي وعوامل التنمية التي أسهمت في توطين البدو ، وحدد نوعي الأسرة الليبية

في : **الأسرة الريفية** التي هي وليدة الأسرة البدوية بعد استقرارها وهى تمتاز بالتماسك الاجتماعي وممتدة تضم أكثر من جيلين نتيجة ما يحتاجه النشاط الاقتصادي من أيدٍ عاملة سواء في الأعمال الزراعية أوالحيوانية ، وهى أسرة محافظة ومتعاونة ، تسهم في اقتصاد المجتمع ، تأثرت بالتنمية والتحديث وظهر ذلك من خلال تغيرات طرأت عليها ، منها دخول الأطفال للدراسة ، وخروج المرأة للعمل بالمدارس ، والمؤسسات الاجتماعية الأخرى ، أما **الأسرة الحضرية** ذات الحجم الصغير تسمى أسرة نووية ، تقيم في المدن ويعمل أفرادها في الصناعة والتجارة ، وتتميز بحياة فردية .

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن للأسرة **مقومات** نوجزها قي الآتي : ([9])

- هي مكون للبناء الاجتماعي وأساس الاستقرار الاجتماعي وهى ملازمة للمجتمع قديماً وحديثاً .
- لها ضوابط وتنظيمات يقرها المجتمع .
- وهى مصدر التنشئة الاجتماعية .
- مصدر العطف والحنان والتواد والتواصل الاجتماعي .
- للأسرة وظائف عديدة ومتداخلة مع نظم أخرى .
- تقوم على أسس ومعايير تتحدد على أساسها الحقوق والواجبات كدور الزوج والزوجة ..ألخ .

وظائف الأسرة : ظهر كثير من المفكرين ممن يرون " أن وظائف الأسرة يمكن أن تتحول إلى هيئات أخرى ، منطلقين من مبدأ أن الشباب يجب أن يتدربوا وفقا لمهاراتهم ومقدراتهم الشخصية وليس وفقا لانتماءاتهم العائلية ، كما يجب ألا يسمح للذكور والإناث بتكوين أسر مستقلة وإنما يجب أن يعيشوا في مجتمع كميوني يتألف من عدد من الأسر غير المترابطة برابطة محدودة كالقرابة إنما تتكون لأسباب فلسفية أو اجتماعية وهى تمتلك خبرة العيش المشترك ([10]) أو مجتمع شيوعي ، فلا يقوم الآباء بتربية أطفالهم وإنما يتلقون هذه التربية عن طريق جهات متخصصة في المجتمع " ([11]) وهو ما حاولت بعض المجتمعات من تطبيق هذا التصور كما هو الحال في الكميونات الصينية ، والكلخوز الروسي إلا أن ذلك تعرض إلى مقاومة كما حدث في روسيا إذ قاومه الفلاحون (في وجه من حمل اتجاهات مضادة لأنماط العلاقات الأسرية القائمة أدى إلى وجود مبررات قوية لتغييرها) منددين بحرمانهم من أهم وظائف الأسرة مما أجبر الحكومة في ذلك الوقت على التوقف عن السير في هذا الطريق ([12]) وهذا ما يؤكد أن وظائف الأسرة مستمرة لم تتغير كثيراً ، ولم تكن تغيراتها عميقة حتى وإن تغيرت الأسرة بسبب التقدم الصناعي، وهو ما أكدت عليه نتائج **دراسة أجريت على عينة من الأسر المصرية** لمعرفة الوظائف التي تقوم بها الأسرة في الوقت الحاضر مثل استمرارها في الاعتماد على تصنيع الكثير من حاجاتها كالغذاء والملبس داخل نطاق الأسرة ، بمعنى أنه ليس اعتماداً كلياً على السوق كما في المجتمعات الغربية ، وهذا ما يفند رأى سوروكن في أن الأسرة سوف تتحول فقط إلى مكان لممارسة العلاقات الجنسية ([13])، بل

تعتبر الأسرة مفتاحاً يحدد مدى تقدم الطفل في المدرسة ، وفي ذلك لم يفسر **بارسونز** أن التغيرات الحديثة في أنماط الأسرة على أنها انهيار أو تفكك ، بل تنطوي على مكاسب كما تنطوي على خسائر ، كما أوضح بارسونز أن عملية التمايز تؤدي إلى تزايد المؤسسات التي تقوم بوظائف محددة ، وأن الأسرة تقتصر على وظائف محدودة يجعلها قادرة على أدائها بنجاح ، وفي العموم حددت المراجع العلمية ([14]) وظائف الأسرة المعاصرة نلخصها في إنجاب الأطفال ، والمحافظة الجسدية لأعضاء الأسرة ، ومنح المكانة الاجتماعية للأطفال والبالغين ، والتنشئة الاجتماعية ، والضبط الاجتماعي ، والإشباع العاطفي ، وأن أى قصور للأسرة في تأدية وظائفها ستترتب عليه مشكلات تؤدي إلى ظهور بعض الأعراض على الفرد مما يدفعها إلى طلب العون والمساعدة من بعض المهن كالخدمة الاجتماعية .

مشكلات الأسرة : كما ذكرنا سلفاً أن المشكلات الأسرية هي اضطراب أو قصور في الأداء الاجتماعي للفرد والأسرة تظهر في صورمنها ([15]) مشاكل فردية نفسية وعقلية وسلوكية للأطفال والبالغين من أفراد الأسرة ، ومشاكل اقتصادية ، فمشاكل تربية الأطفال كانت نتيجة لفشل الكبار في تحمل مسؤولياتهم ، ولخلل في العلاقات الزوجية ، والمشاكل الاقتصادية نتيجة عجز الزوجين في توفير وتوجيه الدخل لإعالة الأسرة ، وباعتبار موضوع البحث يتعلق بدور مهنة الخدمة الاجتماعية في مواجهة العوامل المسببة للمشكلات الأسرية ، وانطلاقاً من أن عمل مهنة الخدمة الاجتماعية ينطلق من هدف إعادة التوازن للأسرة لكي تؤدي وظائفها بصورة إيجابية يتم فيها التركيز على الدراسة والتشخيص والعلاج ، يمكن تصنيف المشكلات الأسرية حسب العوامل التي تتدخل في إحداثها لتبيان دور مهنة الخدمة الاجتماعية في مواجهتها وفق عمليات طرق المهنة كالدراسة والتشخيص والعلاج وغيرها وهذه العوامل هي : ([16])

***عوامل ذاتية :** وهى عوامل شخصية للعميل (طالب الخدمة) مرتبطة بالجوانب الجسمية ، والعقلية والاجتماعية ، والنفسية ، ذات اتصال على التوالي بالوظائف الادراكية ، والحسية ، والتفكيرية ، والإنجازية ولإكثر إيضاح يتم التحدث عن كل عامل من **العوامل الذاتية على حده وهى :**

العوامل الجسمية : المتمثلة في العاهات الجسمية للفرد داخل الأسرة تجعله فاشلاً في أداء دوره الاجتماعي وتدفعه إلى الاعتماد على الأسرة حيث يحدث له ضيق يؤثر في انفعالاته التي تختلف من فرد إلى آخر ، ووفق مكانته داخل الأسرة تنعكس على العلاقات الأسرية ، فمثلاً عاهة الأب تنعكس على قيادة الأسرة تفقده مكانته داخلها يظهر من خلال عجزه في آداء أدواره الاجتماعية بما ينعكس على بقية الأفراد يدفع بعضهم للتصرف دون أي استشارة ، مما يجعل الأب يشعر بالدونية ، وفي المقابل فإن عاهات الأبناء قد تدفع ببعض الأسر لرفضهم مما يسهل استهوائهم للانحراف أحياناً ، وهو ما أكدت عليه الكثير من

الدراسات مثل **دراسة وليام هيلي ، وفكتور نلسون** ([17]) بهذا نعتقد أن العوامل الجسمية هي كل ما يتصل بالأسباب الجسمية تكون سبباً لكثير من المشكلات الأسرية .

العوامل العقلية : تلك المتعلقة بمستوى الذكاء الذي يشمل عمليات مثل التفكير الذي ينظم به الخبرات السابقة لمواجهة المشكلات ، والتذكر الذي هو استدعاء للخبرات كاستدعاء صور ذهنية لصور أخرى ماضية ، وربطها من خلال تحديد علامات التشابه والتضاد والاقتران والتكرار ، وأيضا التخيل الذي هو استدعاء للخبرات السابقة في صور جديدة ، وكذلك الحكم واتخاذ القرار ، فهذه العمليات العقلية ذات علاقة باستقرار الأسرة من عدمه فمثلا ذكاء الزوجة يجعلها تنزع السيطرة والتحكم في شؤون الأسرة بما قد ينشأ عنه صراع مع الزوج يؤدي إلى انهيار الأسرة ، وأيضا مستوى التفكير عند الزوجين واختلاف التوقعات قد يحدث عنه توترات تجعل حياة الأسرة جحيماً ، كما أن التخلف العقلي عند عضو الأسرة يتطلب مساعدته على استثمار قدراته العقلية المحدودة والوصول بها إلى التكيف ومساعدة الأسرة على تقبل وضع عضوها تجنباً للمشكلات .

العوامل النفسية : ترتبط بحياة الشريكين قبل الزواج فالطفل الذي يمر في طفولته بالأمن والحنان بما هيئ له في الاعتماد على النفس يكون أكثر نجاحاً في علاقاته الأسرية نظراً للنضج الاجتماعي ، وهذا يتناغم مع ما ذكره بارسونز أحد علماء **النظرية الوظيفية** حين قال بأن هناك متطلبات كالتكيف وتحقيق الهدف والتكامل والمحافظة على بناء النمط هى أساسيات عالمية في جميع الأنساق الاجتماعية والتي على رأسها الأسرة بمعنى الفشل أو الخلل يعرض نسق الأسرة والمجتمع بأسره إلى الانهيار .

***عوامل بيئية :** وهى مؤثرات وقوى تحيط بالإنسان تؤثر في سلوكه تنعكس على شخصيته ولأكثر توضيح للعوامل البيئية **يتم وفق الآتي :**

العلاقات الأسرية : تلك الشبكة القائمة داخل الأسرة ، والمتمثلة في علاقة الزوج بزوجته ، وعلاقة الزوج بأبنائه ، وعلاقة الزوجة بأبنائها ، ثم علاقة الأبناء ببعضهم ، فكلما كانت هذه العلاقات قوية كلما كانت الأسرة متماسكة خالية من المشكلات ، والعكس فقد تحدث مشكلات عديدة تنعكس على الأفراد وتهز الأسرة ، وتهدد كيانها يؤدي إلى التفكك ، والانهيار ، وبالنظر إلى هذه الشبكة من العلاقات القائمة داخل الأسرة من أهمها علاقة الزوج بالزوجة التي تعد الأساس الذي تبنى عليه بقية العلاقات الأسرية للأطراف الأخرى المكونة لها ، فهى محصلة لها ولعل وسائل الإعلام تلعب دوراً حيال ذلك باعتبارها وسيلة قد توحد أو تفرق آراء أفراد الأسرة ويظهر ذلك من عرض وجهات نظر مختلفة ومتباينة يتولد عنهاتمايز واختلاف في وجهات النظر والقناعات والأفكار القديمة نسبياً حيال الأسرة بما يشوش على أفراد الأسرة ويتركهم في حيرة وارتباك وقلق على مستقبلهم الأسري ([18]) .

العامل الاقتصادي :عامل مهم بإعتباره يسهم في تكامل الشخصية ، فكلما زاد الاهتمام بالظروف الاقتصادية قلت المشكلات الاجتماعية كمشكلة الإدمان وغيرها ، وفي هذا السياق قد أكدت الكثير من البحوث على أن هناك علاقة وثيقة بين تفكك البناء الأسري ، وقصور الأسرة في أداء وظائفها ، كما أن جميع النظم الاجتماعية تتأثر وظائفها بدرجة كبيرة بالعوامل الاقتصادية ([19]) فكثير مايؤدي الانخفاض الاقتصادي داخل الأسرة إلى خروج الزوجة والزوج للعمل ، والبحث عن عمل آخر في فترة الراحة ، وهذا سيجعلهما بعيدين عن مراقبة بقية أفراد الأسرة ، والتقصير في واجبات كل منهما تجاه الآخر، مما ينعكس سلباً على التماسك العاطفي للأسرة بسبب الإهمال الناتج عن الانشغال بالعمل ورجوعهما منه منهمكين ، كما يؤثر انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة على القيم بداخلها ، يجعل الأطفال عرضة لاستهوائهم للانحراف اعتقاداً منهم بأن ذلك سيشبع حاجاتهم المادية التي عجزت الأسرة على توفيرها لهم.

البيئة الخارجية : كثيراً ما تتأثر الأسرة من خارجها كالأقارب والجيران والاصدقاء ، وأيضا وسائل الإعلام ، فمثلا إذا ماكان هناك نفوذ قوي من أحد الأقارب على بعض أفراد الأسرة كتأثير الأقارب على الزوجة سينعكس ذلك على الأسرة ويهدد كيانها ، وهو ما لايختلف عن تأثير أصدقاء السوء وكذلك الجيرة ، كما أن وسائل الإعلام تلعب دوراً كبيراً في حدوث جنوح الأحداث فيذكر أن هناك **دراسة قام بها أحد المعنيين بشؤون الراديو** (الإذاعة المسموعة) بتوجيه استفتاء إلى ثلاثمائة متخصص في طب الأطفال ، وأطباء الأمراض العقلية ، وعلماء النفس والاجتماع ، ومن خلال التعبير بآرائهم حول برامج الإذاعة المسموعة في أمريكا تبين أن 90% من هؤلاء المتخصصين يعتقدون أن للراديو آثاره السيئة على الأطفال بوجه عام ، وأن 81% منهم يعتقدون بوجود علاقة بين بعض برامج الإذاعة وجنوح الأحداث ([20]) وهو ما أكدت عليه **دراسة هيلد وآخرين** المتعلقة بأثر التليفزيون في الطفل 1954 م حين أشاروا فيها إلى أن الأطفال يفضلون برامج الجريمة كالمسلسلات البوليسية (الشرطة) وجرائم القتل أكثر من البرامج الترفيهية أو المسلسلات ، وهو ما يحدث لهم اضطرابات يؤثر في تفاعلهم مع أفراد الأسرة بما ينعكس سلباً على العلاقات الأسرية ([21]) .

بهذا نستخلص أن ميدان الأسرة يعد ميداناً مصاحباً لكل ميادين عمل مهنة الخدمة الاجتماعية سواء كان ذلك في المدرسة أو الصحة وغيرهما ؛ لأن الأسرة مهد الشخصية ، وأول بيئة تحتضن الطفل ، وأول مصدر لتكوين خبرته في الحياة ، وجسر يوصله إلى المجتمع ، ومدرسة يتعلم من خلالها معرفته الأولى ، ومبادئ ثقافته ، فهى كما يقول **جاكسون** " الأسرة لاتنقل القيم المقبولة اجتماعياً إلى الجيل الجديد فحسب ، بل إنها تحاول أن تحمي الطفل من التأثر بالأنماط المنحرفة ، فكلما ازداد تكامل الأسرة ، كلما نجحت في وظيفتها كحصن يمنع عن الأطفال التأثيرات الضارة التي تنشأ في المجتمع المحلي أو تنبع من الأقران ([22i])

المحور الثاني - دور مهنة الخدمة الاجتماعية في مواجهة العوامل المسببة للمشكلات الأسرية :

تعتبر الأسرة من الجماعات الإنسانية المهمة في حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات ، لأنها الأساس في نشأة مختلف المجتمعات ، وحلقة وصل بين جميع الأنظمة بالمجتمع ، إلا أنه نتيجة للتغيرات التي تتعرض لها الأسرة اليوم أفقدها الكثير من وظائفها مما أثر على استقرارها وترابط أعضائها (وصل إلى دورها الأساسي المتعلق بحضانة الأطفال) ، بما سبب لها الكثير من المشكلات تم التطرق لها ، الأمر الذي دفع المجتمعات على اختلاف ثقافاتها وأنواعها إلى الاهتمام بالأسرة وتقديم ألوان الخدمات والرعاية الاجتماعية كافة لها ، وإعداد الدراسات بالخصوص ، حيث اهتمت مهنة الخدمة الاجتماعية بالأسرة معتبرة الرعاية الاجتماعية لها من أهم مجالاتها ؛ لأنه مجال حاضن لأغلب مجالات الخدمة الاجتماعية ، وعلى أنه مطلب مجتمعي نحو رعاية الإنسان الذي تتكامل وتتعاون فيه الخدمة الاجتماعية مع المهن الأخرى ، بهدف إشباع حاجات الإنسان وحل مشكلاته ، والذي أثبتت فيه مهنة الخدمة الاجتماعية نجاحاً يظهر من خلال الممارسة المهنية لمهنة الخحدمة الاجتماعية التي انطلقت منذ بداياتها بالدفاع عن الفقراء والفئات المتضررة (مهضومة الحفوق) معتمدت في ذلك على تحقيق أهدافها المرتبطة بتطوير مقومات المهنة وأهمها إعداد الممارس المهني (الأخصائي الاجتماعي) وتزويده بإطار معرفي تخصصي في طرق مهنة الخدمة الاجتماعية **(خدمة فرد ، وخدمة جماعة ، وتنظيم مجتمع ، والبحث العلمي ، والإدارة والتخطيط الاجتماعي)** ليتولى الأخصائي الاجتماعي مهام المهنة الإنسانية المتطورة وفقاً لتطورات الرعاية الاجتماعية والتغيرات النى تمر بها المجتمعات الإنسانية ، ومن فلسفة المهنة المتعلقة بالإيمان بكرامة الإنسان وتنمية قدراته ومساعدته في التغلب على مشكلاته ، ومن تصورات منطقية لقضايا وموضوعات ترتكز على حقائق تحقق الذات للفرد والأسرة ، ومن مجموعة مبادئ للمهنة كمبدأ تقرير المصير الذي يدفع إلى مشاركة الأفراد في اتخاذ القرارات ، ومبدأ العلاقات المهنية التي ترسم العلاقات الرسمية بين أفراد الأسرة وفق **نظرية الدور** ونظام تبادل الأدوار سواء كان دوراً متوقعاً يتعلق بسلوك الشخص تجاه آحرين ، أو دوراً ذاتياً يتعلق بتوقعات يدركها الشخص عند تفاعله مع غيره على أنها ملائمة ، أو دوراً فعلياً يظهر من خلال سلوك الشخص مع غيره ، وغيرها من مبادئ مهنة الخدمة الاجتماعية التي تؤكد عل أهمية مساعدة الفرد في تجاوز المحن التي تحيط به من خلال الأهتمام بالمجال الأسري وفق طرق الخدمة الاجتماعية المذكورة سلفاً ، والتي تعمل جميعها متكاملة على مساعدة الأسر ومعالجة مشكلات أعضائها بما يمكنهم من المشاركة والإسهام في تقديم الخدمات وتحقيق التوازن بين الاحتياجات والموارد المحلية بغية تحقيق التقدم للجميع في إطار منهجي عام واحد هو ممارسة الخدمة الاجتماعية ([23]) ويتم ذلك وفق أنشطة وجهود مهنة الخدمة الاجتماعية التي حددتها دائرة المعارف عام1965 م **الآتية :** ([24])

- تقديم الخدمات المساعدة للأسرة .
- تطوير الظروف البيئية للأسرة .
- تقديم جهود تعليمية للأسرة .
- البحوث العلمية والاجتماعية للأسرة .

بشرط أن تكون هذه الأنشطة وجهود الخدمة الاجتماعية مجتمعة تعمل على تحقيق أهدافها بالمجالات الأسرية **الآتية** : ([25])

الهدف العلاجي : وهو ينطلق من تحديد مشكلات الأسرة وأعضائها من أجل مساعدتهم على التوافق فيما بينهم أو بينهم وبين البيئة التي تعيش فيها الأسرة من جيران وأقارب ومجتمع محلي وغيرها ، وهو ما أكدت عليه النظرية البنائية الوظيفية عند اهتمامها بالتكيف وتحقيق الهدف والتكامل ، والمحافظة على بقاء النمط وامتصاص التوتر ؛لأن التكيف مع البيئة إشارة لتماسك الأسرة ، ومواجهة ظروف الحياة عن طريق اكتساب المهارات وتفسيم العمل بين أفرادها ، ومن أجل مقابلة احتياجات ومتطلبات الأسرة وتحقيق الهدف كما أشارت **النظرية البنائية الوظيفية** إلى دور الدولة في جعل المجتمع قادراً على تحقيق أهدافه من خلال التبادل الذي يحقق للأسرة أهدافها ، وتحقيق التكامل الذي هو إشارة إلى علاقة بين الوحدات أو الأجزاء داخل النسق وهذا يتأثر بثبات النسق من عدمه ، الذي أكد عنه المتطلب الرابع **للنظرية البنائية الوظيفية** المتعلق بالمحافظة على بقاء النمط من خلال امتصاص التوتر الذي يسود النسق " الأسرة " وهذه المتطلبات في نظر أصحاب النظرية متطلبات أساسية وعالمية في نجاح جميع الأنساق الاجتماعية وعلى رأسها الأسرة .

الهدف الوقائي : ينطلق من تحديد ما يحتمل أن يحدث عدم توازن أو توافق أو خجل قد ينشأ بين أفراد الأسرة أو بينهم وبين البيئة التي يتعاملون معها ، وذلك لغرض الوقاية من حدوث المشكلات ، وفي ذلك تفيد **النظرية التفاعلية الرمزية** بدور المجتمع في ضبط سلوك الفرد، وتحقيق التنشئة الاجتماعية المستمرة للأفراد كمدخل للتفاعل الرمزي وكأساس لأنماط السلطة وعمليات الاتصال والصراع ، كما توضح **نظرية التبادل** بأن أي خلل في عمليات التبادل ، وانعدام العدالة بين الزوجين - مثلاً - تحدث عنه مشكلات كالطلاق ؛ لأن علاقة التبادل تعني تنظيم التعامل الاجتماعي بين الأطراف المتبادلة بصورة مستمرة .

الهدف التنموي : وهو تنمية وتطوير قدرات أفراد الأسرة ككل ودعمها لتحقيق الصالح العام للأسرة والبيئة المحيطة بها ، بمعنى أن الفرد يحتاج إلى عمليات تنشئة اجتماعية مستمرة تبعاً للمواقف الجديدة التي يتعرض لها ، بحيث لا يقتصر على تحديد الأدوار وإنما ينبغي الاهتمام بعلاقات المراكز داخل

الأسرة والمشاكل المترتبة عنها كما تذكر **النظرية التفاعلية الرمزية** وتتفق معها **النظرية التنموية** التي تزيد عنها بأهمية تسلسل الدور ([26])

وتأسيساً على ما تقدم فإن دور مهنة الخدمة الاجتماعية في مواجهة العوامل المسببة للمشكلات الأسرية ، يتضح من أدوار الأخصائي الاجتماعي تجاه تحقيق أهداف مهنة الخدمة الاجتماعية المشار إليها ، مثل **دور المعالج والمساعد والمفسر والوسيط والمخطط** .. إلخ وهذه الأدوار **هي** :

- الإسهام في تنمية قدرات أفراد الأسرة نحو تحقيق التكيف الاجتماعي بما ‘يحدث توازناً بين العوامل الذاتية للفرد أو الأسرة والعوامل الخارجية للبيئة المحيطة به ، وخاصة للأسر التي هاجرت من الريف إلى المدن وما ترتب عن ذلك من ظهور أنماط اجتماعية وثقافية جديدة تتمثل في الأسرة المستقلة اقتصاديا تنعكس على العادات والتقاليد والقيم والأعراف بداخلها ، إحداث تغيرات في أدوار الأسر نتج عنها اختلافات ، وصراعات بين الأجيال ، أثر في العلاقات القرابية بداخلها بسبب التغير الثقافي للفرد والأسرة .
- مساعدة الأسرة في إشباع حاجات أفرادها العاطفية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال توعيتهم وإشراكهم في ذلك .
- ترشيد الأسر لفهم طبيعة مشكلاتهم ، و تفسيرها في ضوء العوامل والحقائق الذاتية والبيئية ، ومساعدتهم على كشف مواطن العلة لمعالجتها .
- استثارة الوعي الذاتي بين أفراد الأسرة نحو دورهم في حل المشكلات التي تواجههم .
- دعم الجو الأسري للأفراد بما يحقق العلاقات الأسرية المتوافقة .
- تشجيع أعضاء الأسرة كافة نحو التفكير السليم واستغلال إمكانياتهم بما يعزز الاعتماد على النفس واحترام الذات .
- مساعدة الأسرة لتنمية القيم والاتجاهات والأخلاق والقدرات والمهارات والعلاقات لدى أفرادها ، وإكسابهم خبرات جديدة تساعدهم على تعديل السلوك وتغيير الاتجاهات نحو الصالح العام .
- ترشيد أفراد الأسرة على فهم أدوارهم وعلاقتها بأدوار الآخرين .
- تمكين الفرد المعاق داخل الأسرة من تجاوز انتكاساته الجسمية بما يحسن تفاعله وتعامله مع أسرته .
- تمكين أفراد الأسرة من تقريب وجهات النظر بينهم ، والقضاء على الاختلافات الناجمة عن التفسير الخاطئ من بعض أعضائها ، إما وفق **استراتيجية الإقناع** التي تفترض اتفاق الأفراد ، والجماعات المختلفة في الرأى على أساس القيم **أو استراتيجية الضغط** لدعم الأراء المفيدة .
- مساعدة الأسرة على اكتشاف إمكانياتها ونواحي القوة الذاتية ، والتعرف على مصادر الخدمات التي تلبي احتياجات أفرادها .

- توضيح الجوانب غير المعروفة من سلوك الأفراد داخل الأسرة وتفسيرها بما يحقق التواصل الأسري الذي يدعم ويقوي العلاقات بين أفرادها وفق مهارة الاتصال ، ووفق **استراتيجية المبادأة والمشاركة** في وضع الحلول .
- مناقشة وشرح متطلبات الأسرة أمام الجهات المعنية .
- توضيح دور المؤسسات ونوع الخدمات التي تقدمها ، وتسهيل إجراءات الاستفادة منها لصالح الأسرة ، وفق **استراتيجية تكثيف الخدمة** (توفير الحد الأقصى لإشباع حاجات الأسرة).
- التنسيق بين المؤسسات والجماعات المختلفة لصالح الأسرة وإشراك أفرادها في التخطيط للخدمات المجتمعية .

الخلاصة :

في ختام هذا البحث نلحظ من خلال ما تقدم أن الأسرة رغم ما تتعرض له من تغيرات وتقلبات وتحديات مازالت حاضنة للطفل ، ومصدراً لتكوين خبراته ، وجسراً يصل به المجتمع ، فالأسرة هى مصدر إكساب المعارف للفرد وحاميته من الاضرار ، وأيضا تعد الأسرة مجالاً حاضناً لأغلب مجالات الخدمة الاجتماعية ، **ونخلص إلى :**

- الأسرة أول تنظيم اجتماعي مهم منذ بدء الخليقة وسيظل كذلك رغم الظروف والتغيرات التي تحدث لها .
- نظام الأسرة حلقة وصل بين الأنظمة الاجتماعية الأخرى .
- الأسرة نظام متطور ولكنه بتطورات غير معقدة طويلة الحلقات كما تتطور الجوانب المادية في الثقافة .
- الأسرة الليبية أسرة متطورة ومتماسكة رغم تعرضها لتغيرات وظروف .
- مقومات الأسرة عديد منها مصدر للتنشئة الاجتماعية ، ومصدر للعطف والحنان والتواصل الاجتماعي ، وأن وظائفها متعددة ومتداخلة مع نظم أخرى .
- وظائف الأسرة المعاصرة إنجاب الأطفال ، والمحافظة الجسدية لأعضاء الأسرة ، ومنح مكانة اجتماعية للأفراد ، والضبط الاجتماعي ، ومصدر الإشباع العاطفي .
- العوامل المسببة للمشكلات الأسرية ، ذاتية (وتشمل العوامل الجسمية والعقلية ، والنفسية) ، وعوامل بيئية (تتمثل في العلاقات الأسرية ، والعامل الاقتصادي ، والبيئة الخارجية) .
- تتم ممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية بالمجال الأسري وفق أهداف المهنة العلاجية والوقائية ، والتنموية من خلال أنشطتها ، وجهودها مثل تقديم خدمات مساعدة للأسرة سواء تلك المتعلقة بالأفراد أوالبيئية .

- أهمية إدراك الأخصائي الاجتماعي للنظرة المجتمعية لمهنة الخدمة الاجتماعية نحو مواجهة المشكلات ، وديناميكية المهنة .

واوصي بالآتي :

- دعم الأسرة وتقديم أفضل الرعايات لها .
- إعداد وحدات ومراكز نفسية واجتماعية تتولى مراقبة التطورات والتغيرات التي تحدث على الأسرة ، وإجراء الدراسات حولها ، لإبرازما ينتج عنها من مشكلات تؤثر في دور الأسرة ، ويدفع بها نحو التغلب عليها وتحقيق دورها بصورة صحيحة .
- تفعيل دور الأسرة نحو الفرد والجماعة والمجتمع .
- التشجيع على إجراء البحوث العلمية حول موضوعات ذات علاقة بالأسرة مثل عمل المرأة وأثره على الفرد والمجتمع ، العنف الأسري وغيره.

هوامش البحث :

[1] - ينظر فتحي رمضان السني ، تأثير القنوات الفضائية في الوظائف الأساسية للأسرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة طرابلس ، كلية الآداب ، 2004 م .

[2]- الوحيشي أحمد بيري . الأسرة والزواج ، طرابلس ليبيا منشورات الجامعة المفتوحة ، 1998 م ، ص50 .

3- أبوبكر شلابي – المدخل إلى علم الإنسان ، طرابلس ليبيا ، منشورات الجامعة المفتوحة ، 2006 م ، ص 349 .

4- ايفانزبريتشارد ، الانثروبولوجيا الاجتماعية ، ترجمة أحمد أبوزيد ، منشأة المعارف بالاسكندرية 1960 م ص 64-65 ينظر أبوبكر شلابي مرجع نفسه ص353 .

5- ينظر أبوبكر شلابي ، مرجع نفسه ، ص354-356 .

6- ينظر أبوبكر شلابي . مرجع نفسه ، ص ص 357- 359 .

7- علي الحوات . مبادي علم الاجتماع ، طرابلس ليبيا ، المؤسسة العالمية للطباعة والنشر ، 1990 م ، ص228 .

[8]- ينظر الوحيشي أحمد بيري . مرجع سابق ، ص ص 152- 154 .

9- ينظر سماح سالم سالم ، نجلاء محمد صالح . مقدمة في الخدمة الاجتماعية الأردن ، عمان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 2012م ، ص261 .

[10] - الأسرة العربية . نشرة فكرية إعلامية توثيقية ، تصدرها المنظمة العربية للأسرة ، عدد 2 ، نوفمبر 1994م ، ص19.

11- سناء الخولي . الزواج والعلاقات الأسرية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ب . ت ، ص71.

12- ينظر سناء الخولي ، المرجع نفسه ، ص ص 71 ، 72 .

13- ينظر . سناء الخولي . التغير الاجتماعي والتكنولوجي وأثره على الأسرة المصرية بنائياً ووظيفياً ، رسالة دكتوراه 1973 ، ص ص 76-77.

14- ينظر محمد سلامة محمد غباري . الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ط 2 ، 1989 م ، ص48 .

15- ينظر محمد سلامة محمد غباري . المرجع نفسه ، ص 48- 65 .

16- ستاء الخولي ، الزواج والعلاقات الأسرية ، مرجع سابق ، ص77 ص 78 .

[17] - ينظر محمد سلامة محمد غباري . المرجع نفسه ، ص ص 49-50 .

[18]- يمظرعثمان علي سالم أميمن ، المرجع في علم النفس الاجتماعي ، ص 524 .

[19]- محمد سلامة محمد غباري . مرجع سابق ، ص59 .

[20]- ينظر محمد سلامة غباري ، المرجع نفسه، ص 64 .

[21]- يمظر صالح دياب هندي ، أثر وسائل الإعلام على الطفل ، الأردن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1998 م ، ص50 .

22 - Toby.j.(the differential Impact of family disorganization) american sociological revien (oct .1937 .p 512) . ينظر محمد سلامة محمد غباري . مرجع سابق . ص69

[23]- ينظر الفاروق زكي يونس . الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي ، القاهرة ، عالم الكتب ، 1978 م ، ط2 ، ص133.

[24]- محروس محمود خليفة ، إبراهيم بيومي مرعي . اتجاهات الرعاية الاجتماعية ومداخلها المهنية ، سلسلة كتب الخدمة الاجتماعية ،د.ت ، ص205 .

[25]- ينظر ثريا عبدالرؤوف جبريل وآخرون . الأسرة المعاصرة والممارسة العامة للخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الأسرة والطفولة ، جامعة حلوان ، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي ، 2006 ، ص261-264 .

26- ينظر سناء الخولي ، الزواج والعلاقات الأسرية ، مرجع سابق ، ص 133- 136 .